قضايا الأدب والأدباء

مؤتمر لنينغراد الادبي

بقلم عايدة مطرجي ادريس

دعت رابطة الادباء الاوروبيين عددا كبيرا من أدباء القارة لعقد مؤتمر ادبي في مدينة لينغراد في الاتحاد السوفياتي بين الخامس والثامن من آب الجاري .

وبالرغم من ان الموضوع الاساسي الذي كان مفروضا ان يتناوله المؤتمر هو « قضايا الرواية المعاصرة » فانه لم يكن بد للادباء من ان يعالجوا قضايا مختلفة ترتبط بالمفاهيم المتنوعة والمتعددة التي يعتنقها كل منهم في مضمار الادب .

من اجل ذلك تطرق المؤتمرون الى موضوعات النزعة الانسانية في الادب والنزعة الواقعية والالتزام والقصة الجديدة وحرية الاديب وما الى ذلك .

وقد شهد المؤتمر اكثر من مئة اديب غربي وسوفياتي ومنهم بعض كبار الادباء امثال سارتر وسيمون دو بوفوار واهرنبورغ وفيغوريللي وسيمونوف وممثلي « الرواية الجديدة » كالين روب غرييه وناتالي ساروت وسواهم . وكان منتظرا ان يحضره البرتو مورافيا ولكنه اعتذر في اخر لحظة .

وقد أتيح لنا ونحن في موسكو (١) ان نتابع انباء هذا المؤتمر على صفحات الصحف السوفياتية اليومية والاسبوعية .

وقد افتتح المؤتمر امين سر الرابطة الناقد الايطالي البارز جان كارلو فيغوريللي ، فتحدث عن نشوء هذه الرابطة التي تفتح ابوابها لجميع الادباء غير النازيين والفاشيست ودعاة التمييز العنصري ، كما رحب بسياسة التعايش السلمي التي يسير عليها خروتشوف والتي أدت الى بلوغ الاتفاق على تحريم جزئي للتجارب الذرية. وقال ان اهتمامه بهذا الموضوع لا يخرج عن نطاق الادب ، لان السلم هو شرط لا بد منه لكل عمل انساني ولا سيما لعمل الاديب .

وتكلم في حفلة الافتتاح ايضا دبنديتي عن ايطاليا وروجيه كايوا سكرتير الرابطة الادبية التابعة للاونسكو، وجوزيت اونغاريتي رئيس الرابطة ومن اقدم الشعراء في ايطاليا فتحدث عن الدور الكبير الذي لعبته الرواية الروسية في القرن الماضي وتأثيرها على الرواية الغربية وركز على دوستويفسكي لانه وصف للعالم كيف يمكن للفنان ان ينتج منطلقا من ذاته الفنية حتى يجعل الروح الشعرية قريبة للانسان .

أما شولوخوف ، كاتب رواية « الدون الهادىء » فقد قال متحدثا عن أزمة الرواية : « ليس السؤال : هل هناك رواية أم لا بسؤال بالغ الاهمية . ان هذه المسألة لا تشغلني كما لا تشغل بال الفلاح زراعة الحنطة أو عدم زراعتها، ان ما يشغلني هو : ما هي خير الوسائل لتحسين كتابة رواية تشغل مكان الجدارة في خدمة الشعب والقراء ؟ » .

(١) بدعوة من اتحاد الادباء السوفيات سافرت بصحبة رئيس تحرير الاداب والاستاذ رئيف خوري .

تطور الرواية السوفياتية

أما قسطنطين فيدين السكرتير الاول لاتحاد الادباء السوفيات فقد قدم جولة عن تاريخ تطور الرواية في العهد السوفياتي . وذكر ان العصر الماضي قد انجب ، في نطاق الادب ، تلك الشخصية الفنية التي تتسم بالواقعية والالتزام . « وهذا الاديب ، ليس اديبا وحسب ، وانما هو عضو اجتماعي يساهم على قدم المساواة مع غيره من افراد المجتمع لبناء صرح الحياة . غير مقتصر على عالمه النفسي الداخلي ، بل معبرا عن آمال البشر وآلامهم . هذه هي تقاليد الرواية الروسية ابتداء من بوشكين وغيرسن وانتهاء بتشيكوف وغوركي » . ثم تحدث عن التيارات الحديثة التي نشأت في الربع الاول من هذا القرن في روسيا كالرمزية والدور الذي لعبته في تاريخ هذه الرواية . وبالرغم من انها قد اثبتت نفسها كمدرسة لها مفاهيمها الخاصة ، فقد ظلت النزعة الواقعية هي المسيطرة على المدارس الادبية ، وكان الادباء الواقعيون يحاربون الرمزية في ميدان الفن والسياسة على السواء. وفي اواسط العقد الثالث ، ظهرت رواية جديدة ، اصبحت خلال عشرات السنين تمثل الادب السوفياتي داخل البلاد وخارجها . أما أساس هذا الجديد الذي تمتاز به هذه الرواية ، فهو مضمونها الذي استوعبته من التجربة الشيوعية . ثم تطرق « فيدين » الى قضية الشكل في الرواية فقال: «ان الشكل ليس بلباس جاهز . فكما ان مادة الواقع تتطور وتتقدم باستمرار ، فان الشكل الذي يعكس به الفنان هذه المادة في روايته لا بد ان تتغير وتتطور مع مرور الزمن . ان كل جدال في ميدان الجمالية لا بد ان يؤدي الى اصطدام في طرق التفكير لان طريقة رؤية العالم هي التي تفرض على كاتب الرواية ان يختار هذه المادة بالذات لروايته ويفضلها على اخرى . فاذا كان الفنان ينظر الى العالم مثلا كعالم عاقل ينظمه الناس ، فلا بد له، اذا كان واقعيا ، من ان يتجاوب مع هذا الواقع ، ويصوره عالما معافى . اما اذا كان الفنان ينظر الى العالم من جانب سلبي فيعتبره كفوضى . فمن الطبيعي ان يختار مادة اخرى تفرض عليه اشكالا اخرى لتصوير بطل يسوده الرعب واليأس . اما الادباء السوفيات الواقعيون فهم ما زالوا يتمسكون بتقاليدهم تلك ويعتزون بها وان كانوا يؤمنون بحتمية تطور الشكل الفني نتيجة لتطور المجتمع التاريخي. وهي يحاولون الا يقدموا مادتهم الجديدة في اطار قديم » .

وتحدث فيدين عن أهم مميزات الواقعية الحديثة فوصفها بانها واقعية اشتراكية . وحلل تلك الواقعية بانها منطلق طبيعي ومنطقي. ذاك ان الثورة قد شملت الجميع ، بما فيهم الادباء . ولذلك فان الادب السوفياتي الجديد هو أدب جميع الاشتراكيين . وتحدث عن الاساليب الفنية التي يتسم بها هذا التيار الجديد، فقال

انها ليست بمثابة كتاب مدرسي ، وهي تختلف وفقا لمهارة الكاتب ، وشخصيته الفنية . اما من حيث تطور هذا الاتجاه عموما ، فهو يتمسك بمبدأ « للكلمة معنى » ويرفض ان ينظر الى الكلمة كرمز فقط او كصوت فقط او كشيء فقط . وقال : طبعا لا يعني ذلك ان ليس للكلمة كل هذه الصفات لكن الصفة الرئيسية تظل لها « المعنى » . أما بالنسبة للواقعية الاشتراكية . فان هذا « المعنى » هو انسانية العالم الجديد . ثم تحدث عن الادباء الذين يمثلون وجه هذا الانسان الجديد منذ اربعين سنة ، كتولستوي وشولوخوف ولينوف وفادييف واهرنبورغ ، الذين لا يشبه احدهم الاخر ، ويتميز كل فرد منهم بشخصية فنية خاصة .

ثم أجاب فيدين على السؤال الرئيسي الذي يرافق الفنان ولا يفارقه وهو : « لماذا اكتب » وكيف ، والى اين أسير ، ومع من ؟ » . وقال : ان كل فنان ، يتخذ موقفا، فهو ، من بين جميع ظواهر الفن لا بد له من ان يختار، فيرفض شيئا او يوافق على شيء اخر . ونحن نرفض كل ما لا يتلاءم معنا . وهذا لا يعني اننا نرفض الاطلاع، وانا اثبت ان الاتحاد السوفياتي في طليعة البلدان من حيث كثرة التراجم من اللغات الاجنبية الى لغاته .

وهنا رد عليه احدهم بان المهم اختيار هذه المؤلفات الادبية . فقال : ان الاختيار موجود .

ورد فيدين ايضا على تلك المحاولة التي ترمي الى بعث تقاليد رواية جويس وبروست وكافكا . وقال : اننا لا نوافق على ذلك . كما اننا لا نوافق على ان البحث عن التجدد يقتضي العودة الى الانحطاط في الادب . اما رفضنا ، فمبني على أساس ثابت وسليم . لقد نشرنا مجموعة من مؤلفات بروست ، واذا كانت شهرته لم تنتشر فليس سبب ذلك أي نوع من سياسة انعزالية في الادب. اما جويس ، فليس بسر من الاسرار بالنسبة لنا . واما كافكا ، فهو كاتب دقيق الاسلوب وان له حقيقته الشخصية التي يستطيع ان يعبر عنها ، ولكن هذه الحقيقة لم تصبح يوما من الايام حقيقة لعدد كبير من القراء . فلماذا اذن يصرون علينا ان نوسع نطاق اختيارنا ؟

اهرنبورغ والمخاض الادبي ...

كان الجو الذي دارت فيه المناقشات صاخبا الى حد جعل اهرنبورغ (*) يقول : « يبدو لي كأنني أصم بحيث يجري الحديث بحيوية خارقة لكن لا يستطيع احدنا ان يستمع الى الاخر » . وكانت مواضيع الخلاف كثيرة، والمناقشات فيها حادة ، ومتشعبة . وقد قال اهرنبورغ: « يجب ان نختار بين ان نتركز على اختلافاتنا او على الاشياء التي توحد بيننا . وانا اعترف بان هناك اختلافات كثيرة بيننا سببها اننا نعيش انظمة اجتماعية مختلفة ذات ايديولوجيات مختلفة . لكن مع ذلك لدينا اشياء توحدنا » .

وقال اهرنبورغ معلقا على رأيه في الرواية الجديدة التي شرحت مفهومها نتالي ساروت: « انا لست من انصار نظريتهم الادبية . وقليلون هم الادباء السوفيات المطلعون على انتاج هذا الفريق ، كما ان كثيرين من ادباء الغرب قلما يعرفون اخر انتاج الادباء السوفيات الذي ظهر في السنوات الاخيرة » . كما اعترض اهرنبورغ على تسمية هذه الدورة بمعالجة « ازمة » الرواية فقال : « اننا لم نوفق في اختيار الكلمة عندما وصفنا هذه المقابلة بانها مناقشة ازمة الرواية الحديثة . ذاك ان كل اديب، تقليديا كان أم مجددا، على يقين بانه يجيد الكتابة. فالازمة اذن ليست بالنسبة للاديب ، واعتقد انها ازمة بالنسبة للقراء . واعتقد ان الازمة من طبيعة الانتاج الفني ولولاها لمات الفن ، فكل اديب عندما يجلس ليكتب رواية او كتابا ما يثق بانه سيقول للناس ما لم يسبق لاحد غيره ان قاله، وانه يقوله باسلوب جديد . فالقضية اذن كانت وما تزال وستظل بالنسبة للاديب قضية المخاض ، وهي صعبة جدا . وتطرق اهرنبورغ الى قضية الشكل في الرواية فقال : « كنت اعارض اولئك الذين يعتقدون ان للشكل اولوية في الانتاج الادبي كما كنت اعارض اولئك الذين ينكرون اهمية الشكل . وانا على يقين من ان الشكل في الفن لا ينفصل عن المضمون كما ان المضمون لا ينفصل عن الشكل » .

ورد اهرنبورغ على هذا السؤال : هل يمكن انكار او رفض جويس او كافكا ؟ فقال : « بالنسبة لي انهما يمثلان الظواهر التاريخية ولا يمكن اهمالهما . وانا لا اعمل منهما راية في الادب ، والفن كما لا استطيع ان اجعل منهما مرمى . ان جويس قد حلل تفاصيل بسيكولوجية دقيقة واجاد المونولوج الداخلي وجويس هو اديب للادباء . اما كافكا فقد ادرك مسبقا كابوس الفاشستية . وكل مؤلفاته ومذكراته تدل على انه كان بمثابة مركز تسجيل لفرط حساسيته واليوم يهاجمه الكثيرون ، وكأنه من المعاصرين وهو ليس في الواقع سوى ظاهرة تاريخية ضخمة .

واشار الى الرواية الجديدة فقال يجب الا نخلط بينها وبين الادب المتطرف الذي يرمي الى احداث ضجة. فانصار الرواية الجديدة اناس مخلصون ، وانا احترم طريقتهم الادبية رغم انني على يقين من انهم مخطئون. ثم ان اكتشافاتهم هي نفس الاكتشافات التي حققناها عام ١٩٢٠ .

واشار الى الخلافات الايديولوجية التي تفرقهم ، ولكنه استدرك فقال ومع ذلك فهناك امور كثيرة نحن متفقون عليها . ومنها واجب الاديب في ان يدافع في روايته عن القيم الانسانية . اما ادب اليأس ، فانا لا ارى فيه عيبا اذا كان الانسان في حالة اليأس التي يعيش فيها كثير من الغربيين ولكني احتقر روح محاربة النزعة الانسانية واحتقار الانسان والسخر منه . ولا ارى بينكم من يدافع عن هذا التيار في الادب . وهناك لقاء اخر بين الادباء يكمن في اننا نعتبر ان مهمة الروائي تصوير الانسان والكشف عن عالمه الداخلي ، وحين نوفق في مهمتنا نخدم قضية توطيد التضامن الانساني والترابط بين الشعوب.

وتطرق الى موضوع الرواية في مختلف البلدان فأشاد بالرواية الاميركية وذكر ما قدمه هذا الادب من قسط كبير في تطوير الرواية على يد كل من همنغواي وفولكنر وشتاينبك وكالدويل ، الذين يصورون الانسان بدلا من ان يكتفوا بمجرد الحديث عنه .

وشدد اهرنبورغ على حق الاديب في التجربة ، وفي احترام تجربته والتمييز بينها وبين التدجيل . ثم احتج على رأي الذين يقولون ان الادباء الملتزمين لا يمكنهم ان يخلقوا روائع فنية حقيقية . وتساءل اليست المهاة

(*) علقت جريدة الاكسبريس الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ١٥ اب الجاري بان « ظهور اهرنبورغ وفاسيلي اكسيونوف ـ اللذين انتقدهما خروتشوف بقسوة في اذار الماضي قد اعتبر في كل مكان علامة « ذوبان جليد » ثقافي في الاتحاد السوفياتي » ...

الالهية مرآة صادقة للشغف السياسي في عصرها ، ثم أليس ستندال اديبا ملتزما ايضا ؟ انه رغم تمسكه بوصف الاحداث السياسية التي شهدها عصره . فان روايته « الاحمر والاسود » ما تزال تثير انفعال القارىء بعد مرور ١٣٠ سنة على صدورها . واشار الى التزام الاديب السوفياتي ، وقال ان سبب ما يكتبه الروائيون من روايات سيئة لا يعود الى تمسكهم بالايديولوجية الاشتراكية بل لأن بعضهم غير موهوب ، ولم يسبق لنا ان تعهدنا بانه في عهد الاشتراكية سيزول الكتاب غير الموهوبين ..

وختم اهرنبورغ كلمته مشددا على ضرورة العمل من اجل السلام في العالم ومحاربة روح الحرب والستارات الحديدية والسعي نحو توسيع الاتصالات بين البشر لازدياد التعارف ، وسد الهاوية التي تعمق بين العالم الاشتراكي من جهة والغرب من جهة اخرى . ان الاتصال ضروري، والمناقشات كذلك ، شرط ان نستغني عن الكلام الفارغ بان الواقعية الاشتراكية شيء تافه ، او انكار جملة ما انتجه الادب الغربي . وارى ان افضل وسيلة لهذا اللقاء الاكثار من التراجم ، واحساس الاديب بالمسؤولية الكبرى، خاصة بعد ان زاد عدد القراء وتعمقت ثقافتهم .

* * *

وظلت المناقشات حادة ، ومفهوم الالتزام والمسؤولية والحرية يصطدم باصطدام الايديولوجيات التي ينبع منها. ومع ذلك ، فالجميع يصرون على ضرورة الاستماع والمناقشة ، وقد علق على ذلك سارتر فقال ان الحوار بين ممثلي مختلف الايديولوجيات ضروري ، وأضاف موضحا انه يدلي برأيه كاشتراكي يناهض الثقافة البورجوازية . وحين تطرق سارتر الى التنافس الاقتصادي بين البلاد ، قال ان الاشتراكية ستنتصر في هذا الصراع (١) .

وحين سئل الكاتب السوفياتي سوركوف عن رأيه في المناقشات أيد موقف سارتر وقال ان مناقشات لينينغراد قد اظهرت ان الصراع الايديولوجي لا يحول دون الحوار. ان الحوار ممكن ومثمر .

ويبدو ذلك واضحا من التعليق الذي قدمه الكاتب السوفياتي سيمونوف حين قال : « اود ان اتحدث عن الاتجاه الذي يخالف فيه اصحابه مسؤولية الكاتب امام المجتمع بحجة انه يجب ان يظل امينا لنفسه . وقال ان مسألة الاخلاص للنفس تعني بالنسبة لي شعور الفنان بمسؤوليته امام الناس الذين يعيش بينهم ويكتب من اجلهم . واذا فقد الفنان هذا الشعور ، فقد نفسه ، او على الاقل فقد الشيء الرئيسي في نفسه . وأضاف : وفي رأيي ان الادباء يتميزون بشعور أكثر بالمسؤولية ، وهذا الشعور هو من طبيعة رسالتنا كأناس يخاطبون طول حياتهم ملايين من الناس ويعبرون عن رأيهم بهم . كما يبدو لي ان اخلاص الكاتب لنفسه يعني قبل كل شيء شعوره بانه من هؤلاء الناس ، يشعر بقرابته اليهم لا بما يتميز به عنهم الا بتلك الميزة التي تنجم عن طبيعة تلك المهنة الانسانية النادرة . لذلك فمن واجب الاديب الذي ينظر الى البشر نظرة كبرياء ، ان يكون منطقيا للنهاية ولا يعرض انتاجه الى محكمة الشعب الذي يحتقره . ان مناقضة شعور مسؤولية الكاتب امام الناس لرغبته في ان يكون مخلصا لنفسه تعني في الواقع مناقضة نفسه للناس. ان المسؤولية عبء ، وليس هذا العبء بقليل . ولكني كاديب لم اشعر يوما برغبة ملحة في التخلص من هذا العبء ، كما لم اشعر برغبة في آن أكون لا مسؤولا اسرح في العالم الادبي ككرة فارغة . صحيح ان عبء المسؤولية يسبب التعب الروحي ، لكن عبء عدم المسؤولية يعني للاديب الموت الروحي » . ثم تطرق الى مبدأ الالتزام فقال: من واجب الاديب ان يسير على الارض بخطوات ثابتة ثقيلة يشعر بكل ما في جاذبية الارض من قوة وبهجة ، ومن واجبه ان يشعر انه جزء من الشعب لا يتجزأ . واذا كان يحلو للبعض ان يسموا ذلك التزاما فانا لا اجد سببا لاخجل من هذه الكلمة . اني ارفض الادب الخالي من المسؤولية، ومن انصار الادب الملتزم لمقتضيات الشعب الحيوية ولمقتضيات البشر . وانا لا اجد أي تناقض بين الشعور بالمسؤولية وكرامة الاديب .

* * *

هذا ما نشرته الصحف السوفياتية عن اعمال مؤتمر لينينغراد . وقد حدثت مناقشات وتبودلت اراء كثيرة في هذا المؤتمر بين الادباء امثال نتالي ساروت وسارتر من فرنسا وانغوس ولسن وجون ليمان من انكلترا وهنس رهيتر من المانيا الغربية وسواهم ممن لم تورد الصحافة السوفياتية كلماتهم .

تعليق غربي ...

هذا وقد وقع اعضاء المؤتمر على ميثاق وقف التجارب النووية ، ولكن وقف تلك التجارب لن يؤدي الى وقف التجارب الروائية، على حد قول برنارد بنغو (١) الذي حضر المؤتمر .. والذي علق على انعقاده بقوله :

« كانت السلطات السوفياتية قد قررت ، بدافع من الحكمة ، على ان تجري المناقشات بطريقة سرية، ولكن بينما كانت جريدة « البرافدا » تنشر النصوص الكاملة لخطب أشهر الروائيين الروس (فيدين ، شولوخوف، ليونوف ، سيمونوف) كانت تكتفي بالاشارة الى أسماء الخطباء الغربيين ، بحيث أخذنا الشعور اولا باننا وقعنا في شرك .. لقد كان بوسع فيدين ، السكرتير الاول لاتحاد الكتاب السوفيات ، ان يؤكد بهدوء احتقاره لبروست وجويس وكافكا ويقول : « لقد سمعت باسم كافكا عام ١٩٢٤ ، ولكني لم أشعر قط بالحاجة الى قراءته، وكان بروست قد ترجم في الاتحاد السوفياتي ، فنحن اذن متحررون ، ولكنه لم يلق أي نجاح ، فهو اذن كاتب رديء .. » وكان بوسع ليونوف ان يلقي الحرم على الروايات الغربية ويصفها بانها مجموعات داعرة فاسقة ويقول : « ان حريات الغرب لا تجدي الا للاستهزاء بالمستقبل .. وان الغرب هو سدوم » ـ كان بوسعهما ان يقولا ذلك ، لانه لم يكن ثمة من يسمع أجوبتنا ... فما الذي كان يجديه، في تلك الظروف، حضور غيدو بيوفاني، وانغوس ويلسون وناتالي ساروت وسيمون دو بوفوار وجان بول سارتر والان روب غرييه وروجيه كايوا وهانس

ـ البقية على الصفحة ٦٦ ـ

(١) عقد سارتر مؤتمرا صحفيا اثنى في خلاله على اثار الجيل الجديد من الكتاب السوفيات ولا سيما على قصة « بيت ماتريونا » لالكسندر سولجانتسين ، قصة نشرتها مؤخرا مجلة « ليتان مودرن » في فرنسا واستقبلها النقاد السوفيات الرسميون بكثير من التحفظ.

(١) راجع مجلة « الاكسبريس » الفرنسية عدد ٦٣٦ .

قضايا الادب والادباء

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٧ ـ

مانغوس انزانزبرجر ؟ كان الخطباء يتتابعون بالقاءخطب جاهزة ، ولكن الحوار لم يكن لينعقد ، كانت كل كلمة تثير سوء تفاهم: ما هي «الواقعية» ؟ ما هي «النزعةالانسانية»؟ ما هو « المستقبل » ؟

ثم ظهر في اليوم الثالث للمؤتمر انالمواقف أخذت تبدو اقل بساطة واقرب الى الصحة ، على غرار ما يحدث في تلك الاشكال من المقابلات التي يعول فيها علىالاتصالات الشخصية خارج الاجتماعات اكثر مما يعول على الخطب امام المنبر . ولن اذهب في هذا الى القول اننا ازلنا جميع اشكال سوء التفاهم ، ولكن الاسئلة حلت على الاقل محل التوكيدات ، وظهرت خلف النظريات عادات التفكيروطرائق الشعور ، و « المواقف » التي كانت تبرر هذا المنطق او ذاك . صحيح اننا لم نحل اية مشكلة ، ولكن المؤتمر اتاح لنا ان نطرحها طرحا افضل .

لنأخذ مثلا كلمة « مسؤولية » التي كانت تتردد في كل خطاب من خطب كتاب الشرق . ان الكاتب ، في نظر السوفيات ، مسؤول اولا امام قرائه ، وعليه الا ينفصل عنهم ، بل عليه على العكس ان يبحث عما هو مشترك معهم . ان الادب تبادل : فانا اتحدث بالنيابة عن الذين لا يملكون وسائل الحديث ، اتحدث بدلا عنهم ، ومن اجلهم . يقول سيمونوف : ان الكاتب ربان ، وجدارة الربان تكمن في ان يعنى بركابه ، ولكن روب غرييه يرد بان الرواية ليست وسيلة نقل . ان الربان يعرف اين يتوجه ، اما الروائي فلا يعرف . والكاتب لا يكتب ليوكد قيما معترفا بها من قبل ، وانما يكتب ليكتشف قيما جديدة . ومسؤولية الكاتب تقوم على مستوى هذا الالتماس : انه مسؤول عن وسائله التعبيرية ، وعن العالم الخيالي الذي تلده هذه الاشكال ، فاذا كانت افتراضاته صحيحة ، فستتحقق عاجلا او اجلا ، وعلى الجمهور ان يتابع.

وهذا خلاف مبدئي يترجم عن اختلاف في البنية، كما قال سارتر في خطابه الختامي القيم . ان بين الكاتب السوفياتي وجمهوره اتصالا ثابتا ، وقيمة الاثر تقاس بالصدى الذي تخلفه . كانت روائية سوفياتية بيع من اخر كتاب لها مئتا الف نسخة في بضعة اسابيع ، تقول لي انها قد تلقت اربعمئة رسالة من القراء . ان الكاتب البورجوازي الذي يجهل من هو جمهوره واين ومتىوكيف يبغه ، يكتب اولا لنفسه . اما التتويج بـ «كتاب الجيب» فهو مخصص للذين سبق ان ملأوا شروط متطلباتالطباعة العادية والذين يتحدثون ـ اذن ـ بلغة البورجوازية، لا باللغة التي تجهلها الجماهير مبدئيا . وهكذا يكونالتفكير، في الجهتين منصبا على « المستقبل » .

غير أن يقين احد الفريقين ، وثقتهم المطمئنة بالقيم الانسانية وبالاشكال التي تبدو اصلح من سواها للتعبير عنهذه القيم (الرواية التقليدية ، هذه « الاداة الطيبة » التي يمتدحها السوفيات بلا ضجر) يوشكان ان يقوداهم الى تصور انقيادي للعالم : فالمستقبل مرئي على ضوء الماضي . ولكن الوعي الحاد الذي ينعم به الفريق الاخر (الغربي) بالنسبة لدور الادب النقدي (كان بيوفانييقول ان الرواية وسيلة معرفة واكتشاف . فما يهمني هو ان اضيف شيئا او أهدم شيئا) تنتصب قبالته وحدة اوعزلة ليست اقل خطرا ، لان الاديب لا يكتب حقا « لكي يكتب »، ومحاولة الكشف الادبي تدين نفسها بالاختناق اذا هي فضلت وسائل الاتصال على الاتصال نفسه ، وتركت للشكل مهمة ان يحدد المضمون ، اذا هي لم تشهد باستمرار على ارادة التبادل والمشاركة .

تلك هي حقائق اولية . وأهمية اجتماع كاجتماع لنينغراد تكمن في ان تكتشفها في نضارتها ، اذا صح التعبير . وان تكتشف ايضا ان كل عبارة ، كما هو الشأن في كل معارضة حية ، تحمل في ذاتها نقيضها ، العدو الحميم الذييستطيع ان ينقذها . حين حاولت ناتالي ساروت ان تشرح للسوفيات الفرق الذي تراه بين المرئي واللامرئي ، بين السلوك الخارجي ، العمومي ، المعقلن، ومن ثم اللاحقيقي ، وبين الحركات الداخليةالتي تكمن خلفه والتي تشكل حقيقته المظلمة المترنحة ، قوبلت بتلطف لا يخلو من ارتياب .

ان تلك الحركات لا تهم اناسا لقنوا ان اللامعقولية دليل بورجوازي وهم يصبون الى تغيير الانسان اكثر مما يصبون الى معرفته . ولكن كان يكفي الاستماع الى اكسيونوف او غرانين لندرك ان هذا التغيير ، اذا فهم على حقيقته ، سيتطلب هو بالذات اشكالا جديدة للتعبير ، وسيقود الى طرز جديد من الاحساس ، وسيطرح على الكاتب مشكلات لن تستطيع اية صيغة ان تحلها بدلا منه.

وكما ان « الرواية الجديدة » لا تحظى باجماع التقدير في الغرب (ان امثال انغوس ويلسون وروجيه كايوا يشعرون ، على نحو ما ، انهم اقرب الى « النزعة الانسانية » الروسية منهم الى المحاولات التي يبذلها شكل ادبي مفرط في تجريبيته) فان واقعية الشرق لا يفهمها انصارها بطريقة واحدة . فروائيو الامم « الوسط » اكثر احساسا بالتأثير الغربي . وقد كان بوسع « تيبور ديري » الذي دفع غاليا ثمن حقه في التحدث ، ان يؤكد منذ

صدر عن دار دمشق للطباعة والنشر

الاشتراكية الخيالية

في القرن التاسع عشر

تأليف بليخانوف
ترجمة حنا عبود
مراجعة الدكتور فؤاد أيوب

السعر ١٠٠ قرش

اليوم الاول للمؤتمر اخلاصه للاشتراكية ، وان يلاحظ ، من جهة اخرى، ان كل اثر اصيل هو «سلسلة من الاسئلة» و « مجموعة من الشكوك المتغلب عليها » ، وان يتساءل عن الفكرة الساذجة التي يحملها جمهور يحدد انتظاره المتطلب سلفا مضمون الاثر الادبي.

ان خلاف القديم والحديث لم ينته حتى في الاتحاد السوفياتي الذي لا يجادل احد في مهمة الكاتب الاجتماعية فيه ، والذي يحتل فيه الاهتمام بالقارىء المقام الاول . بل يبدو ان المجددين يزدادون عزما على الانتهاء من التراكيب الاسلوبية البالية ، حتى ولو كانوا اشد حذرا في التعبير . وبالرغم من ان نفاد الصبر يبدو اكبر لدى الشبيبة ، فليس يمكننا القول ان الانفصال يفرق حقا بين جيلين.

ومما له مغزى كبير ان تكون احدى الخطب التي حظيت باهتمام كبير ، وكانت ادعى الى التفاؤل ، هي خطبة ايليا اهرنبورغ الذي نقد نقدا عنيفا منذ اشهر . فان اهرنبورغ قد عارض معارضة شديدة رأي فيدين بكبار الرواد الغربيين ، بروست وجويس وفوكنر ، واشار الى ان « أزمة » الرواية لم تكن ظاهرة جديدة ، وانما لعلها تعزى الى طبيعة الرواية بان تضع نفسها موضع السؤال ، وان الادب بحاجة الى ربابنة تجربة الى جانب ربابنة الخط . وهي حجة استعملها بعد ذلك تفاردوفسكي مدير تحرير « نوفي مير » الذي سبق ان اكتشف افضل كتّاب الجيل الجديد ، ولا سيما الكسندر سولجانتسين. لقد قال تفاردوفسكي منتقدا روب ـ غرييه : « ان الاعياء بان الكاتب يكتب ليعرف لماذا هو يكتب انما هو لغو » . ولكنه جوابا على سيمونوف اكد بقوة ان الكاتب ليس باستطاعته ان يقتدي بنماذج ناجزة جاهزة . لان « ما اكتبه، انا الوحيد الذي يستطيع ان يكتبه. وحتى تولستوي نفسه لن يستطيع ذلك » .

ما الذي نستنتجه من تبادل هذه الاراء ؟ ان الود الذي كاد يسود اليوم الاخير للؤتمر يفسح مجال الامل بان توسع لقاءات جديدة منطقة التوافق . وسيكون ساذجا بالطبع ان ننتظر تغيرا في مواقف احد الفريقين ، ولكن يمكن على الاقل ان تلين وتفيد من هذه الخميرة التي لا يغني عنها شيء والتي تتيحها معرفة افضل بالاخرين. ولقد كان سارتر في المؤتمر الصحفي الذي عقده في موسكو يعرف التعايش الايديولوجي على انه « صراع عنيف » . وينبغي لهذا الصراع ان ينتهي ، في رأيه ، بانتصار الاشتراكية ـ ولكن اشتراكية يكون الغرب قد أغناها وغيرها بمساندته .

وانا لست على يقين بان كثيرين من كتاب الغرب يقدمون على هذه التضحية. ثم ان من الصعوبة بمكان ان نتنبأ كيف ستتطور الاشتراكية نفسها . ومهما يكن من امر ، فان افضل وسيلة لوقف هذا التطور ان يراد استعجالها بمعالجة القضايا التي يطرحها المجتمع السوفياتي على كتابه معالجة مستخفة . ان الفن الذي نفهمه نشاطا مستقلا لا يزال ، وسيظل مدة طويلة ، وسيلة تربية بالنسبة اليهم . فينبغي اذن ان نقر حذرهم من أدبنا ، ولكن ينبغي ان نحاول ايضا تبديد هذا الحذر ، بان نسلك سلوكا بريئا من كل تعال يسير . ان العلامات المبشرة ليست معدومة : كان فيدين قد أدان فوكنر ، اما الان فان سكان موسكو يقرأون كتابه الاخير « البيت » في المترو . وغدا سيقرأون « الطاعون » بالرغم من حكم النفي الذي اصدره اراغون على كامو . وستظهر قريبا ترجمة لكافكا ، وقد نشرت مجلة سوفياتية (تحت تعليق متحفظ جدا ، بالطبع) مقتطفات من روايات ساروت وبوتور وروب غرييه.

ولئن شئنا ان تنمو هذه الحركة ، التي ما تزال حيية ، فلنحرص على الا تكون ذات اتجاه واحد . انني لا اعود من لنينغراد وقد اعتنقت الواقعية الاجتماعية ، وانما أعود مقتنعا بان توحد الكاتب الغربي هو ألم موقت، أشد وعيا بقيمة محاولاتنا ولكن ايضا بحدودها . ان روب غرييه على حق اذ يقول ان « الرواية الجديدة » تسجل خطوة الى الامام في تطور الفن الروائي ، ولكنه على خطأ حين يصورها على انها رواية متحررة ، تفتح المجال لعالم يجهل المأساة .

ذلك ان هذا التقدم هو ايضا انطواء ، فهو اذن ألم . ان الجمالات الليبرانتية التي نجدها في « الغيرة » و « الخالدة » والتفاصيل الدقيقة الراعشة التي تنطوي عليها « صورة رجل مجهول » او « ثمار ذهبية » انما ندفع ثمنها جفافا يبدو للسوفيات بمثابة رفض ، ويكمن سره في طبيعة مجتمعنا . وانا لا اعرف كيف سينتهي هذا المجتمع ، ولكني على يقين من ان « عصر الشك » سيزول معه .

* * *

وبعد ، فقد قدمنا ترجمة كاملة ليتاح للقارىء العربي ان يأخذ فكرة واضحة عن مؤتمر لنينغراد وعن أعماله كما ظهرت في رأي الادباء السوفيات ، ورأي الادباء الغربيين، على حد سواء .

عايدة مطرجي ادريس

سلسلة الافكار

مجموعة ثقافية تعنى بشؤون الفكر الحديث

يشرف عليها الدكتور فؤاد ايوب

وتصدر عن دار دمشق للنشر والتوزيع بدمشق

صدر منها :

١ ـ اليساري : تأليف كلود لنزمان وترجمة احسان مراش ، سعر ١٢٥ .

٢ ـ الحرب والحضارة : تأليف أرنولد توينبي وترجمة الدكتور فؤاد ايوب ، سعر ٣٠٠

تحت الطبع :

٣ ـ من اجل اخلاق للابهام : تأليف سيمون دي بوفوار

٤ ـ دوستويفسكي : تأليف اندريه جيد

٥ ـ الطبيعة في الفيزياء المعاصرة : تأليف ورنر هيزنبرغ

٦ مدخل الى الوجوديين : تأليف عمانوئيل مونيه

٧ ـ الرجاء الاعظم للقرن العشرين: تأليف جان نوراستيه

٨ ـ العلم والحس السليم : تأليف روبرت أوبنهايمر

٩ ـ الانسان في العالم الحديث : تأليف جوليان هكسلي

١٠ ـ الجنلية : هنري لوفيفر .

الدار بحاجة الى وكلاء في العالم العربي .